المكتبة الأزهرية

مخطوطة

رسالة في النيل

المؤلف

أحمد بن عماد بن يوسف (الأقفهسي، ابن العماد)

عدد أوراق ٢٤

كتاب في ذكر النيل وما يتعلق
به تأليف الإمام العالم العلامه
الرحلة الفهامه شهاب الملة
والدين احمد بن العماد الشافعي
تغمده الله تعالى برحمته
واسكنه فسيح جنته
ونفعنا ببركته
بمنه وكرمه
انه على ذلك
قدير
امين

٢٠٧ عفص ٤٨٨١٥ مخطوطات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده **واشهد** ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجب العافية المجيده **واشهد** ان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الامة الشهيده والى سايرالفرق القريبه والبعيده فبلغ الرسالة وادى الامانه ودعا الى الله عبيده ونساله الله من فضله ان يجعلنا من الامة السعيده ولا يجعلنا من الفرق البعيده **وبعد** فقد روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اربعة لا تشبع من اربع عين من نظر وانتي من ذكر وارض من مطر وعالم من خير **ولما** كان اقليم مصر مشتملا على فوايد عجيبه وامور غريبه استخرت الله تعالى في ان اجمع فيها من نفيس الغرايب ما لا ينبغي لذوي العلم اهمالها لهما ولا سيما من كان بمصر الا معرفتها واتقانها وكيف وكلهم او اكثرهم لو سيل عن نهر النيل من اين يخرج من الارض وفي اي مكان يذهب ولو سيل عن طوله وعن سبب تكدره وخضرته في وقت الزياده ومن اين عنده الزياده وفي اي مكان تذهب زيادته اذا انقص لما اجاب عن ذلك وانا ان شاء الله تعالى ابين لجميع ذلك قاصدا فيه الاختصار وقبل الشروع في ذكر الغرض لما يدل على فضيلة هذا النهر على غيره من انهار الدنيا وبيان ذلك في فصلين الاول في بيان فضله

وقد

وقد ورد فيه ايات واحاديث اما الايات فمنها قوله تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى **وعن** ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة **قال** البغوي في تفسير هذه الانهار الاربعه تخرج من نهر الكوثر قال كعب الاحبار اما نهر مصر فنهر دجلة نهر ما اهل الجنه ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم ونقل ابن زولاق في تاريخ مصر عن كعب الاحبار ان نهر مصر نهر العسل في الجنه والفرات نهر الخمر وسيحان نهر الماء وجيحان نهر اللبن **وفي** حديث الاسراء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثم انتهيت الى سدرة المنتهى فرايت اربعة انهار تخرج من اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت يا جبريل ما هذه الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران في الجنه واما الظاهران فالفرات والنيل قال النووي في شرح مسلم قال العلماء الباطنان هما السلسبيل والكوثر قال القاضي عياض رحمه الله هذا الحديث يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض لخروج النيل والفرات من اصلها ثم تغيرا حيث اراد الله حتى تخرج من الارض ويسيرا فيها وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع وظاهر الحديث يوجب المصير اليه والله اعلم وما ذكره النووي هو الصواب فقد ذكر البغوي في سورة النجم ان سدرة المنتهى هي شجرة طوبى وذكر في سورة الرعد في قوله تعالى طوبى لهم انطوبى شجرة اصلها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم واغصانها

الألوكة
www.alukah.net

بيت في الجنة الا وفيه غصن منها وقال ابن دريد وراق في تاريخ مصر
ان النيل يجري من تحت سدرة المنتهى وانه لو تقصى اثاره لوجد
في اول مجراه اوراق الجنة قال ولذلك يذهب الى اكل الطحلي
من السمك لانه يتتبع اوراق الجنة فيرعاها ويشهد لصحة ماذكرنا
ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالحبرور فانه
يرعى من حشيش الجنة **وذكر بعضهم** ان سائر مياه الارض وانهارها
تخرج اصلها من تحت الصخرة بالارض المقدسة والعلم عند الله تعالى
فائدة طوبى وزنها فعلى مشتقة من الطيب واصلها طيبى وقعت في
الباب ضمة فقلبت واوا قال ابن جني حكى ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني
في كتابه الكبير في القراءات قال قرأ على اعرابي بالحرم طيبى لهم وحسن
مآب فقلت له طوبى فقال طيبى فاعدت عليه فقلت طوبى فقال
طيبى فقلت طوبا فقال طيبا فلما طال علي قلت طوطو فقال طيطى
ومن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى طسم ان الطا شجرة طوبى
وان السين سدرة المنتهى وان الميم محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على
ان شجرة طوبى غير سدرة المنتهى والله اعلم **قال** سعيد بن جبير طوبى
اسم الجنة بالحبشية وكيت شجرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي اليها
ولا يعلم ما فوقها الا الله عز وجل **وعن** اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر سدرة المنتهى
فقال يسير الراكب في ظلها ما بدا له عام لا يقطعها فيها فراش من ذهب

وفي رواية في ظل الغصن منها كان
الفنن تو بين الفصن وفي
القوائم العظم ذوائب افنان اي اغصان

كان ثمارها القلال قال مقاتل شجرة المنتهى تحمل الحلي والحلل والثمار
من جميع الالوان لونها ورقه وضعت منها الاضافات لاهل الادوار
وفي جامع الصحاح عن الليث قال شجرة المنتهى في السماء السابعة
لا يتجاوزها ولا نبي ولا ملك قد اظلت السماء والجنة ومنها قوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح
اجاج وقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات
وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا واصل المرج
الخلط يقال للرجل اذا اخلى الشيء حتى اختلط بغيره قد مرجه ومرج
البحرين خلى بينهما حتى اختلطا وامر مريج مختلط والعذب الحلو والفرات
اعذب العذوبة والملح المالح والاجاج الملح الملوحة ويقال ملح
وهو الاشهر وبها القرآن ومالح لغة قليلة **قال الشاعر**
بصرية تزوجت بصريا يطعمها المالح والمطريا
وقال آخر
ولو تغلت في البحر والبحر مالح لاصبح ما في البحر من تغلها عذبا
وسمع من العرب اما انا فلا اصيح بمالح اي لا انتفع به ولا اصلح
واصل البرزخ الحاجز بين الشيئين يمتنع من وصول احدهما الى
الاخر ومنه قوله تعالى ومن ورائهم برزخ اي حاجز يمنعهم من
الرجوع الى الدنيا والحاجز بين البحرين حاجز قدرة الله العذب
ينصب في الملح ولا يختلط احدهما بالاخر بل يساعد كل منهما متميزا
عن الاخر مسافة طويلة ثم بعد ذلك يغوص بحر النيل في الملح ولا

الألوكة
www.alukah.net

تختلط به بل يجري تحته متميزا عنه كالزيت مع الماء ولهذا يظهر
لراكب البحر في بعض النواحي فيستقون منه للشرب وذلك في امكن
معروفة وقوله تعالى وحجرا محجورا اي حراما محرما اي لا تختلط
بهذا لو هذا بهذا واصل الحجر المنع ومنه سمي العقل حجرا لانه يمنع
صاحبه من تعاطي القبائح وما لا يليق قال تعالى هل في ذلك قسم لذي حجر
اي عقل ومنه قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا
يبغيان اي لا يغلب الملح على العذب فيفسد حلاوته ولا يبغي العذب على
الملح فيفسد مرارته ولقد احسن الشاعر في قوله
وبامر البحران يلتقيان لا يبغ على عذب مرور اجاج
وقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فاللؤلؤ ما عظم من
الجواهر والمرجان ما صغر قال الواحدي فان قيل كيف قال
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما لا يخرجان الا من احدهما وانما يخرج الملح
فالجواب من ثلاثة اوجه احدها قال الثعلبي ان الاصل يخرج من
احدهما ثم حذف المضاف وانفصل الضمير وانصل بمن فصار منهما قال
غيره ان البحرين لما صارا واحدا بالتقائهما صح عود الضمير عليهما وصح ان
يقال يخرج منهما وقال بعضهم بل الصدفة تعلو على وجه الماء مشتملة
وقت المطر فاذا وقع فيها قطر الماء انطبقت وغاصت في البحر فما وقع
فيها قطر واحد تربت جوهرة كبيرة وتسمى عندهم الدرة اليتيمة فان
عطبت مارت صدفا وما وقع فيه اكثر من قطرة تربى فيها بعدد
القطر

القطر من الجواهر وذلك اللآلي الصغار فعلى هذا كون الاسناد
اليهما حقيقة لان قطر المطر يكون كاللقاح للصدف وتربيته
في البحر ومنها قوله تعالى حكاية عن فرعون لعنه الله قال يا
قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي قال صاحب
الفتوح المراد بالانهار النيل قال وكان النيل على ايام فرعون
مقسوما على اثنى عشر جدولا وكانت ارض مصر كلها تروى في سنة
عشر ذراعا وكانت ارض مصر وبناؤها موكلا على جدول
واحد تجري تحتها من البحر وهو قوله تعالى وهذه الانهار تجري من تحتي
وقال تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون الاية وفي قوله تعالى
قد جعل ربك تحتك سريا اي امامك وبين يديك وقد قيل انها مثله
هنا والسري النهر الصغير واما الاحاديث فمنها ما سبق ومنها ما
روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لنيل مصر حين اجري
اسكن عليه خيرتي من عبادي فمن اراد ان يسوكنهم مزوراتهم اورده ابن
زولاق قال الكندي وروى عن عقبة بن مسلم يرفعه ان الله تبارك وتعالى
يقول يوم القيمة لساكن مصر العراسكنكم مصر وكنتم تشربون من مياهها
قال وسال معاوية بن ابي سفيان كعبا فقال اسالك يا ابا اسحاق هل تجد
لنيل مصر ذكرا في كتاب الله عز وجل التورية فقال اي والذي فلق البحر
لموسى اني لاجد في كتاب الله يعني التورية ان الله يوحي اليه عند انتهاء
ان الله يامرك ان تجري على كذا فاجر على اسم الله ثم يوحي اليه عند انتهائه

الألوكة
www.alukah.net

انتهى

ان الله يامرك ان ترجع فارجع راشد يعني يوحى اليه عند النقص والزيادة قال المسعودي وليس في الدنيا نهر يسمى بحرا وبما غر النيل لكثرة استعماله واشار الى قوله فالقيم في اليم قال ابن عباس يريد النيل وذكرها جعله في تابوت والقيه في النيل فحمله الموج الى دار فرعون فاخذه ورباه صغيرا امر يراد قال وليس في الدنيا نهر يزيد بالترتيب وينقص بترتيب غير النيل قال الكندي وروى ان الله تعالى خلق نيل مصر معادا لجميع انهار الدنيا وسائرها فجعل يمتد في الزيادة تنقص كلها لمادته وذكر ابو حنيفة ان نيل مصر في زيادته يعود كلما مر اوله الى آخره وهذا هو الذي يتكدر لاذا العيون اذا نبعت من الارض اختلطت بالطين فحال لونها فتكدرت قال واجمع اهل العلم على انه ليس في الدنيا نهر طول مدا من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام وشهرين في النوبة واربعة اشهر في الخراب الى ان تخرج من جبل القمر خلف خط الاستواء وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والصين غير نيل مصر وليس في الدنيا نهر يزيد ويمد في اشد ما يكون من الحر حين تنقص انهار الدنيا وعيونها غير بحر النيل وكلما زاد الحر كان اوفر لزيادته وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجاس من خراج نهر من انهار الدنيا ما يجاس من خراج النيل وليس في الدنيا نهر ينبت عليه القمح اليوسفي غير النيل قال الكندي وروى ان الجماعات خراج مصر

لامير

لامير المومنين هشام فخرج بنفسه فمسح ارض مصر التي تروى بالنيل عامرها وخاربها فوجد فيها كلها ثلثين الف الف فدان قال ابن لهيعة كان لنيل مصر قطيعة على كورة مصر عشرون ومائة الف رجل يهم المساحي والآلة سبعون الفا للصعيد وسبعون الفا لاسفل الارض لحفر الخليج واقامة الجسور والقناطر وسد الترع وقلع القصبان والحلفا وكل نبت يضر بالارض وقال محفوظ بن سليمان اذا تم الماء ستة عشر ذراعا فقد وفا خراج مصر فان زاد الماء على ذلك ذراعا واحدا انقص مائة الف لما يستضر من البطوت وقال المسعودي يبتدي نيل مصر بالنقص والزيادة بعد بؤونة وابيب ومسرى واذا كان الماء ابدا يزاد شهر توت كله فاذا انتهت الزيادة الى ذراع ستة عشر ففيه تمام الخراج الذي للسلطان وخصب الناس وفيه ظمارع للهائم لعدم المرعى والكلا وانتهاء الزيادة العامة النافعة للبلاد كلها سبعة عشر ذراعا وفي ذلك كفايتها وروى جميع ارضها واذا زاد على السبعة عشر ذراعا وبلغ ثمانية عشر وافاضها استضر من مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من وجود الاستضرار وغير ذلك واذا كانت الزيادة ثمانية عشر كانت العاقبة في الغرافة حدوث وبا بمصر قال ومساحة الزراع الى ان يبلغ اثنا عشر ذراعا ثمانية وعشرون اصبعا ومن اثنى عشر

الألوكة
www.alukah.net

ذراعا الى ما فوق ذلك فصير الذراع اربعة وعشرين اصبعا واقل
ما يبقى في قاع المقياس من الماء ثلاثة اذرع وفي مثل تلك السنة
يكون الماء قليلا والاذرع التي يستسقى عليها بمصر ذراعان يسمى
منكر ونكير وهي ذراع ثلاثة عشر ذراعا وذراع اربعة عشر ذراعا
فاذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزاد نصف ذراع من الخمسة
عشر استسقى الناس بمصر وكان الضرر شاملا لكل البلاد الى
ان يأذن الله في زيادة الماء واذا دخل الماء في ستة عشر كان فيه
صلاح لبعض الناس ولا يستسقى فيه وكان ذلك لنقصان من خراج
السلطان قال وكانت معرفتها تروى مرسنة عشر ذراعا وكانت
فيما يذكر اكثر البلاد جنانا وذلك ان جنانها كانت متصلة عافتي
النيل من اوله الى آخره من دمياط الى رشيد وكان الماء اذا بلغ
في زيادته تسع اذرع دخل خليج المقياس وخليج الفيوم وخليج
سردوس وكان الذي وفي حفر خليج سردوس لفرعون لعنه الله
هامان عدو الله واما خليج الفيوم وخليج المقياس فان الذي
حفرهما يوسف بن يعقوب عليهما قال الكندي ولما اهدي
المقوقس صاحب مصر الى النبي صلى الله عليه وسلم نبايا وكراعا واختبر
من القبط ماريه واختها واهدى اليه عسلا وغير ذلك فقبل هديته
ونسري ماريه فاولدها ابراهيم واهدى لاختها لحسان بن ثابت
الانصاري

الانصاري فاولدها حسان ابنه عبد الرحمن بن حسان
وسأل صلى الله عليه وسلم عن العسل الذي اهدي له من
اين هذا العسل فقيل له من قرية يقال لها بنها فقال اللهم
بارك في بنها وفي عسلها اتفقوا على ان عسل مصر اطيب
وماؤها اطيب ولحمها اطيب وحبها اطيب وبهذا افضلت مصر
على الشام لان هذه الثلاثة هي عماد الحياة فحبها افضل من حب
الشام وكذلك لحمها وماؤها وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
انه قال دعا نوح عليه السلام لمصر بن بيصر بن حام بن نوح وبه سميت
مصر ولما سار القبط فقال اللهم بارك فيهم وفي ذريته واسكنه
الارض المباركة التي هي ام البلاد وعن العباد التي نهرها
افضل انهار الدنيا وفي بعض التفاسير في قوله تعالى سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي
باركنا حوله ان المراد بالمكان المذكور المبارك فيه حول المسجد
الاقصى مصر ولكن الاية اعم من ذلك لان الله تعالى بارك لا اهله
فيما حوله من مواشيهم وانبائهم وبارك فيه بدفن الانبياء والصالحين
وغير ذلك وذكر الثعلبي في قصص الانبياء ان جميع مياه الارض
تخرج اصلها من تحت الصخرة وقال في قوله تعالى اذا خرجني
من السجن وجاء بكم من البدو ان البدو ارض الشام قال ابن
زولاق كان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم

www.alukah.net

الخليل واسماعيل ويعقوب ويوسف بن يعقوب واثنى عشر
سبطا من اولاد يعقوب عليه السلام وولد جماعة من الانبيا
موسى وهرون ويوشع بن نون ودانيال وارميا ولقمان
وعيسى بن مريم وولدته امه بالعناس المدينة المعروفة
وبها النخلة التى قال الله تعالى فيها وهزى اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا **وكان عمر** من الصديقين مؤمن ال
فرعون والخضر ويقال والله اعلم انه ابن فرعون لصلبه من
موسى عليه السلام ولحق به وجعله الله تعالى نبيا وايه
وبمصر مواضع شريفه منها الوادى المقدس وبها الطور
وبها التى موسى عصاه وبها انفلق البحر لموسى وبها النخلة
التى امرت مريم بهزها وبها النخلة التى امرت مريم
بان تضع تحتها عيسى عليه السلام فلم يثمر غيرها وهى بالجزيره
وبها الجميزة التى صلى موسى عليه السلام تحتها بطرا **وقيل**
فى قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين ان المراد بالربوه البهنسه
قال ابو الحكم بن عبد الحكم وكتابه فضايل مصر
قال يحكى الصحيح ان الربوة التى اوى اليها المسيح وامه
مدينة البهنسا فى موضع يعرف الان بمسجد الديوان اوى
به هو وامه سبع سنين قال واما الربوة التى بدمشق
فموضع

فموضع مبارك بره مليح المنظر فى لحف جبل وليست الربوة
التى ذكر الله عز وجل فى كتابه لان عيسى عليه السلام ما دخل
دمشق ولا وطى ارض الشام قبل الربوة التى هى بمصر وقيل
هى الرمله **قيل** والنخلة التى كانت تتضح له الرطب عديمه
اثمون مشهورة والنخلة التى اوت اليها امه بسدمنت
مشهورة مذكوره واقامت الحواريون بعد مدينة البهنسا
غير مذكوره وبركة عيسى عليه السلام ظاهرة ببير البلسم
التى بارض المطريه ودعونه لاهل البهنسا مشهوره **قال**
وفى نصر الانبيا والمرسلون واولوا العزم المكلمون وابنا
الاسباط من بنى اسرايل وذو القرنين والاسكندر
والحكما البوناينون والفلاسفه المقدمون وذو الهيئة
والالة والمطلاسم والحركات والرصد والنجامات
والمساحات والخبر والمقابلات كهرمس وبقراط وجالينوس
وقيداغورش واليوس وغيرهم **قال** الكندى **قال** كعب
الاحبار من اراد ان ينظر الى شبه الجنه فلينظر الى مصر اذا
اخرجت واذا ازهرت واذا اطردت انهارها وفتحت
ثمارها وفاض خيرها وعنت طيورها قال وقال عبد الله
ابن عمر من اراد ان ينظر الى شبه الفردوس فلينظر الى ارض مصر
تخضر زروعها وتزهر بيعها وتكسى بالنوار اشجارها
وقال المسعودى فى مروج الذهب وصف بعض الحكما مصر

الألوكة
www.alukah.net

فقال ثلاثة اشهر لولوة بيضا وثلاثة اشهر سمكة سودا
وثلاثة اشهر زبردة خضرا وثلاثة اشهر سمكة ذنب حمرا
فاما اللولوة البيضا فهي في شهر ايب وهي ثور وشرو وتوت
يركبها الما فتري الدنيا بيضا واما السمكة السودا فانها في شهر
بابه تنكشف الارض فتصير ارضا سودا وتقع فيها الزلعات
وللارض رايحة طيبة تشبه رايحة المسك واما الزبردة
الخضرا فانها في شهر طوبه وامشير وبرمهات تنبع الارض ويكثر
عشبها ونباتها فتصير الدنيا خضرا كالزبردة واما السمكة
الذهب الحمرا فانها في شهر برموده وبشمس وبونه يبيض الزرع
وينور ذا العنب فتشبه الذهب في المنظر قال ووصف اخر مصر
فقال بلدها عجب وارضها ذهب وهي لمن غلب ملكها سلب
ومالها رغب وخيرها جلب وفي اهلها صحب وطاعتهم رهب
وسلمها سغب وحربهم حرب ونهرها النيل من سادات
الانهار واشرف الانهار لانه تخرج من الجنة على حسب ما ورد به
خبر الشريعه قال وفي نيل مصر اعاجيب كثيره من انواع
الحيوان منها التماح وهو السمسار فلا يوجد الا بنيل مصر
وهو ياكل ويطعم كالجراب ليس له مخرج بل يتغوط
من فيه ذكره ابن الجوزي قال فاذا اكل وبقي الطعام
بين اسنانه تربى فيه دود فياتي الى البحر البري فينام ويفتح
فاه

فاه فياتي طاير فيدخل فاه ويلتقط ذلك الدود فاذا احس
التماح ان الدود قد فرغ طبق فمه على الطاير لياكله
وجعل الله تعالى لذلك الطاير ابرتين من العظم في ظهر في جناحيه
فاذا الطبق فمه عليه ضرب بهما في سقف حلقه ففتح فاه فيخرج
الطاير قال المسعودي وخلق الله تعالى دويبة بنيل مصر
تعادي التماح تستخفي له في الرمل في موضع برقد فيه ويفتح
فاه لذلك الطاير فاذا افتح فمه وثبت ودخلت فمه ثم دخلت
الى جوفه فاذا دخلت جوفه اضطرب ونزل البحر فاكل تلك
الدويبة احشاه وتخرق بطنه وفي ذلك هلاكه وفي كتاب
القزويني ان الذي يفعل ذلك بالتماح هو كلب الما وذكر
المسعودي ان التماح هو الورك وكذا قال الحموي في كتابه
التنويه فيما يرد على التنبيه وقال ان التماح يبيض في البر
ويدفن بيضه في الرمل فاذا اخرج فرخه فما نزل البحر منه كان
تمساحا وما طلع البر واستمر فيه صار ورلا واذا صح ان الورل
فرخ التماح اطرد فيه الوجهان في جواز اكل التماح والمذهب
الحكايه ذكر نظيرها عن ام طبق البحريه وهي اللجاه السماه
عند العامه بالترسه قال اللاحون انها تبيض في البر وتغطي
بيضها بالرمل وتنزل الى البحر فتعد له اياما وكذلك يعدها
التماح لبيضه ثم تحفر عن البيض فيخرج الفرخ فما نعمها ونزل
البحر صار لجاه وما بقي في البر صار سلحفاه والسلحفاه اكلها حرام

وكذلك الترسه ونقل النووي تحريمها عن الاصحاب في شرح
المهذب في كتاب الحج لم يعرض له الرافعي ولا اصحاب
الروضه وكثير من الناس يأكلونها وهو حرام نعم يجوز اكل
بيضها كما يجوز اكل بيض التمساح وبيض الغراب والحداة
على الصحيح في جميع ذلك لانه طاهر لا ضرر في اكله وليس
بمستقذر كذا جزم به القمولي في الجواهر والنووي في
شرح المهذب في باب البيع بانه علل جواز بيعه بانه
طاهر منتفع به ومنها السمكة المعروفة بالرعاده
وهي سمها تحدر الذراع فاذا وقعت في سلة الصياد
ارتعدت يداه وعضداه فيعلم بوقوعها فيبادر الى تحويلها
ولو امسكها تخشبه او قبضه فعلت كذلك قال المسعودي
وقد ذكرها حالينوس وانها اذا جعلت على راس من به صداع
شديد او شقيقة وهي في حماه هذا الساعه الفصل
الثاني في شان المكان الذي تخرج اصل النيل منه وفي
المكان الذي يذهب به وبيان سبب خضرته وفي المقاييس
المجعوله عليه وغير ذلك وقد تقدم انه تخرج من جبل القمر
على ما ذكره الكندي وذكره ايضا المسعودي وصاحب الات
اليم السبعة قال انه تخرج اصله من جبل القمر من عشرة عيون
خمسة تجتمع في بطيحه وخمسة في بطيحة يعني مكانا منبطحا من
الارض ثم تجتمع بعد ذلك وذكر صورة جبل القمر وانه مقوس
وعلى

وعلى راسه شراريف هكذا ويسمى سرره وذكر
المسعودي في مروج الذهب ان الفلاسفة قالوا انه
يجري على وجه الارض تسعماية فرسخ وقيل الف فرسخ في
عامرها وخاربها من عمران وخراب حتى يأتي الى بلاد
السودان من صعيد مصر الى هذا الموضع تصعد المراكب
من فسطاط مصر وعلى امثال من اسوان جبال واحجار يجري النيل
في وسطها فلا سبيل الى جريان السفن فيه وهذا الموضع
فارق بين مواضع سفن الحبشه في النيل وبين سفن المسلمين
ويعرف هذا الموضع من النيل بالجنادل والصخور ثم يأتي الفسطاط
فينقسم خلجانا الى بلاد تنيس ودمياط ورشيد والى اسكندريه
كل يصب الى جهه قال واصل النيل وشعبه من تحت جبل القمر
ومبدا ظهوره من اثني عشر عينا وجبل القمر خلف خط الاستوا يعني
الذي يستوي فيه الليل والنهار واضيف الى القمر لانه يظهر
تاثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمه
والبدو والمحاق قال المسعودي فتنصب تلك المياه الخارجة
من الاثني عشر عينا من النيل الى بحيرتين هناك وهو معنى كلام
صاحب الاقاليم في بطيحه قال ثم تجتمع المائها جاريا فيمر
برمال هناك وجبال ثم يخترق ارض السودان مما يلي بلاد
الفرنج فينبع منه خليج يجري الى بحر الزنج وهو جزيره قليلو
جزيره عامرة فيها قوم من المسلمين الان لفتهم زنجيه غلبوا

الألوكة
www.alukah.net

على هذه الجزيرة وسبوا من كان فيها من الزنج كغلبة المسلمين
على الجزيرة وهي جزيرة افريطش في البحر الرومي وذلك في مبدا
الدولة الامويه ومنها الى عمان في البحر من نحو حمامه
فرسخ على ما يقوله البحريون وذكر جماعة انهم يشاهدون
في هذا البحر في الوقت الذي يذكر فيه زيادة النيل عصرا وقبل ذلك
بقليل ما يخرق هذا البحر ويشق قطعه منه من شدة جريانه
وتخرج من جبال الزنج عرضه اكثر من مثل مكدد في اوان الزياده
بمصر وصعيدها قال وذكر الحافظ ان نهر السند من نيل مصر
واستدل على ذلك بوجود التماسيح فيه قال المسعودي وكان
احمد بن طولون في سنة نيف وستين ومايتين بلغه ان رجلا
بأعلى مصر من الصعيد له ثلاثون ومايه سنه من الانباط ممن
يشار اليه بالعلم وانه علامة عصر وارضها من برها وبحرها
واجنادها واجناد ملوكها وانه ممن سافر الارض وتوسط
الممالك وشاهد الامم من انواع البيضان والسودان وانه
ذو معرفة بانواع هيات الافلاك واحكامها فبعث اليه
احمد واخلى له نفسه في ليالي وايام كثيره يسمع كلامه وانداه
وحكايانه فكان مما ساله عن طول الاحاديث على النيل
وممالكه قال لقيت من ملوكهم ستين ملكا في ممالك تختلف كل منهم
ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حاره يابسه قال فما
منتهى النيل في اعلاه قال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي نحو
الارض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر وهي تحت
الموضع

الموضع التي تسميه المجمون الفلك المستقيم وما ذكرته فمعروف
غير منكور انتهى كلامه **وقال** ابن زولاق في اثناء ذكره ذكر عن
بعض خلفا مصر انه امر قوما بالمسير الى حيث يجري الليل
فساروا حتى انتهوا الى جبل قالوا والماء ينزل من اعلاه له دوي
وهدير لا يكاد يسمع احدهم كلام صاحبه ثم ان احدهم تسبب في
الصعود الى اعلا الجبل لينظر ما وراء ذلك فلما وصل الى اعلاه رفض
وصفق وضحك ثم مضى في الجبل ولم يعد ولم تعلم اصحابه ما شانه
ثم ان رجلا منهم صعد لينظر صاحبه ففعل مثل الاول فقطع ثالث
وقال لاصحابه اربطوا في وسطي حبلا فاذا انا وصلت الى
ما وصلا اليه ثم فعلت كما فعلا فاجذبوني حتى لا ابرح مكاني
ففعلوا ذلك فلما وصل الى اعلى الجبل وفعل كفعلهما فجذبوه اليهم
فقيل انه خرس فلم يرد جوابا ومات من ساعته فرجع القوم
ولم يعلموا غير ذلك **فصل** في كوره سبوط وجبل ابي فايده
الذي على النيل قال الكندي وعلى نهر الليل كوره سبوط ذكر انه
صور للرشيد صوره الدنيا فما العجب منها غير كوره سبوط مساحة
ثلاثين الف فدان في دشت واحد لو قطرت قطره فاضت على
جميع جوانبه يزرع فيه الكتان والقمح والقرط وسايراصناف
الغلات فلا يكون على بساط الارض بساط اعجب منه وبساير من
جوانبه المعز في جبل ابيض على صوره الطيلسان كانه فروز وتحت به

وجه ٩

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

من جانبه الشرقي النيل كانه جدول فضه لا يسمع فيه الكلام من كثرة
اصوات الطير **فصل** في الاهرام قال ابن زولاق انهرم يسير
الاكبر وانه بنوا الهرمين وانهما جعلا عوض حايطها ثلثمايه
ذراع بذراعهم قال وكانت الصابيه تحج للاهرام ولما اتى
الطوفان لم يهدمهما شيا ولكن ردم تلك البنا فقيل ان هذا الذي
بقي منهم هو بعض ما دفن وكانت الصابيه تطوف بهما ويقولون
يا ابانا الهون اليك قد حججنا قال وسعة الهرم من احد جانبه ذراع
في ارتفاع مثلها احدهما قبر هرمس والاخر قبر تلميذه اغاذيمون
وكانا في سالف الدهر مستورين بالديباج قال المسعودي وسال
احمد بن طولون ذلك السبع عن بنا الاهرام فقال انها قبور للملوك
كان الملك منهم اذا مات وضع في حوض حجارة واطبق عليه ثم يبنى له من
الهرم على قدر ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض فيوضع
وسط الهرم ثم يقطر على البنيان والاقبا ثم يرفعون البناء هذا
المقدار الذي تروونه ويجعل باب الهرم تحت الهرم ثم تحفر الطريق
في الارض ويعقد ازج ويكون طول الازج تحت الارض مايه ذراع
واكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب يدخل منه على ما وصفت
قيل له فكيف بنيت هذه الاهرام المملسه وعلى اي شي كانوا
يصعدون ويبنون وعلى اي شي كانوا يحملون هذه الحجارة العظيم
التي لا يقدر اهل زماننا هذا ان يحركوا الحجر الواحد منها الا بجهد بليغ ولا
يقدرون على ذلك **فقال** كان القوم يبنون الهرم بدرج ذا
مرا في كالدرج فاذا فرغوا منه نحتوه من فوق الى اسفل هذه كان

حيلتهم وكانوا مع هذا لهم قوة وصبر وطاعة للملوكهم
وثابته فقيل له ما بال هذه الكتابة التي على الاهرام
والبوابي لا تقرا قال دثر الحكما واهل العصر الذين كان هذا قلمهم
وتداول ارض مصر الامم فغلب على اهلها القلم الرومي وذهبت عنهم
كتابة ابايهم وان من تلك الكتابة انا بنيناها فمن يدعي موازرتنا
في الملك او بلوغنا في القدر وانهنا نامن الملك والسلطان فليهدمها
وليزل رسمها فان الهدم ايسر من البنا والتفريق ايسر من التاليف وقد
ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فان خراج مصر وغيرها
من الارض لا يوفي بقلعها وبنى من الحجر والرخام قال المسعودي
وساله عن مدينة العقاب فقال هي غربي اهرام بوصير الجيزه وهي
على خمسة ايام مما يليها للراكب المجد وقد عورطت بقصبها وعمي وذكر ما فيها
من عجايب البنيان والجواهر والاموال وساله عن النوبه وارضها
فقال هم اصحاب ابل وبخت وبقر وغنم والاغلب من ركوبهم
البراذين وربيهم بالنيل عن قتي عربيه وعنهم اخذ الزنج ابل الحجاز
واليمن وغيرهم العرب وهم الذين تسميهم العرب رماة الحدق ولهم
النخل والكروم والذره والموز والخيطه وارضهم كلها جزا من ارض
اليمن والنوبة انزح كالبر ما يكون بارض الاسلام وملوكهم من عمرانها
من حمير وملكهم يستولي على معدي ونوبه وواحد علوه امة عظيمة من
السودان تدعى بكنه وهم عراة كالزنج وارضهم تنبت الذهب
وفي مملكة هذه الامة يغترق النيل فتشعب منه خليج عظيم ثم يجتمع
الخليج من بعد انفصاله عن النيل ويجتمع الاكثر الى ارض النوبه فاذا

بلاد

الألوكة
www.alukah.net

فاذا كان في بعض الارض انفصل الاكثر من الماء في ذلك الخليج
وابيض الاكثر واخضر الاقل فيشق ذلك الخليج في اودية وخلجان
واعمان ما يوسه حتى يخرج الى بلاد حابس والحبوب وذلك ساحل
الزنج ومصبه في بحرهم انتهى كلام المسعودي ومنه يوخذ ان خضرة
النيل عند الزيادة تكون من خضرة ذلك الخليج لانه متصل به وسمعت
بعضهم يذكر ان في اعلا النيل بركة تنقطع عن النيل في اوان النقص فتخضر
لطول مكثها فاذا كان اوان الزيادة وزاد الماء صبها فيها في البحر
فيخضر والله اعلم **فصل** واما الخايط الممده بالجانب الشرقي من النيل
ذكر المسعودي انه لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه من الجنود حتى من
بقي بارض مصر من الذرارك والنساء والعبيد ان يغزوهم ملوك
الشام والعرب فملكوا عليهم امراة ذات راي وحزم يقال لها
دلوكه فبنت على بلاد مصر خايطا تحيط بجميع البلدان وجعلت عليه
المجاذي والاجراس والرجال متصلة اصواتهم بقرب بعضهم من بعض
واثر هذا الخايط موجود في هذا الوقت وبلوسته ثمانير وسبعمايه
ويعرف بخايط العجوز قاله المسعودي وقيل انما بنته خوفا على
ولدها كان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال
من جاورهم من الملوك واهل البوادي فخوطت الخايط من
النماسيح وغيرها وقيل غير ذلك فملكتهم ثلاثين سنة واتخذت بمصر
البرابي والصور واحكمت الات السحر وغير ذلك **فصل**
في المقاييس الموضوعة بمصر لمعرفة زيادة النيل ونقصانه قال
المسعودي رحمه الله سمعت جماعة من اهل الخبرة يخبرون ان يوسف
النبي

البني صلى الله عليه وسلم حين بنى الاهرام اتخذ مقياسا لمعرفة
زيادة النيل ونقصانه وان ذلك عنف وان دلوكة العجوز وضعت
مقياسا اخر بافسي صغير الذراع ووضعت مقياسا اخر
ايضا بالصعيد ببلاد اخميم فهذه المقاييس الموضوعة قبل مجيء
الاسلام ثم ورد الاسلام فكانوا يعرفون زيادة النيل ونقصانه
بما ذكرنا الى ان ولي عبد العزيز بن مروان فاتخذ مقياسا على لوان
وهو صغير الذراع ثم اتخذ اسامة بن زيد التنوخي مقياسا
بالجزيرة وهي التي بين الفسطاط والجيزة وهذا المقياس الذي اتخذه
اسامة البرها ذراعا واتخذ ذلك في ايام سليمان بن عبد الملك وهو
المقياس الذي عليه العمل في وقتنا ومسافة ذراعه الى ان يبلغ اثني عشر
ذراعا ثمانية عشر ذراعا وعشرون اصبعا ومن اثني عشر ذراعا
الى ما فوق يصير الذراع اربعة وعشرين وفي هذه الجزيرة مقياس
اخر لاحمد بن طولون والعمل عليه عند كثرة الماء وتزايد الرياح واتصالا
مهابها وكثرة الموج **فصل** في زيادة النيل قال المسعودي
قالت العرب في النيل انه اذا زاد غاضت له البحار اي نقصت قال
الله تعالى وغيض الماء اي نقص وذهب وقال تعالى وما تغيض الارحام
وما تزداد وغاضت له العيون والابار واذا غاض لم يزد
هي فزيادتها من غيضه وغيضه من زيادتها وقالت اهل الهند
زيادته ونقصانه بالسيول ونحن نقول ذلك بتوالي الانواء وكثرة
الامطار وركوب السحاب وقالت الروم لم يزد قط ولا ينقص وانما

الألوكة
www.alukah.net

وانما زيادته بزيح الشمال اذا كثرت واتصلت وقال القبط
زيادته من عيون في شاطيه يراها من سافر ولحق بها عاليه وقد
تقدم عن ابي قبل ان نيل مصر في زيادته يفور كلة من اوله الى اخره
وحكى لي بعض من اقام بالحبش ان الغمام والمطر يستمران عندهم
في ايام زيادة النيل ليلا ونهارا في اعلا النيل وان في بعض السنين
يكثر المطر جدا وفي بعضها يقل فيعرفون كثرة النيل بعصر وقلته
بسبب ذلك **فصل** في المكان الذي يذهب فيه ما النيل قال
الحكما انه يجري اذا صب في بحر الملح انهى فيه الى مواضع ثم يرتفع
بخارا ويجتمع في الجو فتحمله الغمام والريح الى الاماكن التي يريد الله تعالى بالمطر
فيها من سايرا البلاد ولهذا تجد الاماكن القريبة من البحر اكثر مطرا
من غيرها ويشاهد الغمام قريبا من بحر الملح عند دمياط وغيرها مما
جاور البحر قالوا واذا وقع المطر في البلاد اتصل بالبحر من عيون
وغيرها حتى ينتهي الى البحر ايضا ثم يصير مطرا كما سبق وهذا قد
اشار اليه الزمخشري في قوله تعالى والسما ذات الرجع والمراد
بالسما الغمام والرجع المطر قال سمي رجعا على عادة العرب في تعظيم
ان الغمام تحمل ما المطر من البحر ثم يرجع اليها فهو رجع الى الارض
بعد ما اخذ منها مرة بعد مرة اخرى وذكر الواحدي انها انما سميت
رجعا لانها ترجع الى الارض مرة بعد اخرى وما ذكره الحكما وجهوه
بان كل ما على الارض من خشب وحجر وغاس ورصاص وجوان
يصير ترابا ثم يعود خلقا جديدا وملكذا الى يوم القيمة قالوا
والفلك دوار وذكر المفسرون في قوله تعالى وارسلنا الرياح
لواقح

لواقح فاتر لنا من السما ما فاسقيناكموه ان الله تعالى يرسل
الرياح فتلقح السحاب بالما كما يلقح الفحل الناقة اللذين قال اللغويون
واللواقح من الرياح التي تحمل الندا ثم تمجه في السحاب فاذا اجتمع
في السحاب صار مطرا وقيل انما هي ملاقح واما قوله لم لواقح فعلى حد
الزايد قال ابن الجني قياسه وان سلنا الرياح لواقح ملاقح لان
الريح يلقح السحاب وقد تجوز على معنى لتحمل حتى فاذا التقحت
تركت الحمل السحاب فيكون هذا مما اكتفى فيه بالسبب عن المسبب قال
اهل اللغة والريح العقيم التي لا ما فيها سميت عقيما لانها لا تلقح ولا
تنتج كالرجل العقيم والمراة العقيمة ويجوز ان يكون الريح تحمل الغمام
الذي يجتمع في الجو من البحر الملح الى الغمام فيلقحها به ويدل لذلك انك
تجد ما المطر في الغالب فيه ملوحة وانما ملح من مجاورته البحر على
ما سبق وقد تشاهد البخار في زمن البرد تعلو من البحر الى الجو
وتترا كم حتى تصير في راي العين كالسحاب فتجري بالريح فيجوز ان
يكون بعض ما يشاهد من السحاب مطر كله وان الله تعالى يسوقه
الى حيث يشا ويجوز ان يكون المطر ينزل من السما كما ينزل منها البرد
قال تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد كما في الارض جبال من
حجر قال ابو الفرج بن الجوزي والبرد يقع قطعا كبارا وقطعا
صغارا قال ووقعت في بعض السنين بردة عظيمة فامتلا لها
اقليم مصر فاليمن قال الكواشي في تقسيم من الاولى لابتدا الغاية
في قوله تعالى من السما لابتدا الغاية والثانية للتبعيض والثالثة
لبيان الجنس انتهى ويجوز ان يكون المطر ينزل من البحر المرتفع بين
السما والارض ويقال انه دايما يجري قبل ولولا هو لاحترق

الارض تحمي السماء وذكر بعض الشيوخ فيه حكاية عجيبة
فقال ان بعض الملوك ارسل بازا اشهبا خطف طائرا
فصعد الى الجو وجاء بعد ساعة وفي رجله سمكة فجمع الملك
علما مملكته واستفتاهم عن هذه السمكة وانه هل يجوز اكلها
فافتوه كلهم بجواز اكلها وكان هناك شاب مشتغل بالعلم
وكان ابوه تاجرا ينفق عليه فضجر منه فتركه بلا نفقة فهاجر
الشاب الى طلب العلم وقام بخدمة سنين ثم قدم فوجد
الملك والعلما مجتمعين والملك يستفتيهم في السمكة فلما افتوه
جميعا بجواز اكلها قام الشاب من بينهم وقال يا ملك هذه
السمكة حرام لا يجوز اكلها فقال ولم فقال لا اقول حتى تجعل
لي جعلا فجعل له عشرة الاف دينار فقال اعطوني لاني منها
الغى دينار فاعطوه الغين فبعث بها الى ابيه وقال قولوا
ان ابنك سافر وجا ببضاعة فباع منها بالغى دينار وهي
الى الان لم تنفق ثم قال للملك ان بين السماء والارض بحرا
لا ينالها الا البازات الشهب وروي فيه حديثا وان سمكة
سمر قاتل وانت لما ارسلت البازي فرمنه الطائر
خطف هذه السمكة من البحر فانظر شخصا يكون قد استحق
القتل فاطعمه منها فاحضر رجلا قد استحق القتل فاطعموه
منها فمات من ساعته فاكمل له الملك العشرة الاف
واكرمه وعظمه ومما يذكر ويلوى مشهورا ان المطر ربما

امطرت

امطرت الصفادع في بعض السنين فيحتمل ان تكون هذه الصفادع
من ذلك البحر ويحتمل صحة ما ذكر بعضهم ان الغمام يغترف الماء من
البحر واذا اغترفه اغترف معه الصفادع والعلم عند الله تعالى
ومما يذكر وهو الصحيح ان الماء في اعلا الصعيد يكون احلى منه في
اخر النيل بيما الذي يقرب من البحر الملح ولما ولي القاضي فخر
الدين بن مسكين قضا فوص من الصعيد وكان قبل قاضيا بابيار
انشد ابيانا منها والله لولا العار ما اخترت غير ابيار
ولكن الصعيد اعلى وماوها احلى والادنى فشار
ومن المشاهد ايضا ان ماء بعض الامطار احلى من بعض على نيل
فصل تقدم في الحديث ذكر الانهار الاربعة وتقدم الكلام في ان
مصر واما الانهار الثلاثة فذكر المسعودي انها جيحون وسيحون
والفراة قال فاما جيحون فهو نهر شلج فانه يخرج من اعين
فيجري حتى يأتي بلاد خوارزم وقد لجاز قبل ذلك بلاد الترمذ
واسفرايين وغيرها من بلاد خراسان فاذا ورد الى خوارزم
تفرق في مواضع هناك وغيض ماؤه فينصب في البحيرة التي
عليها القرية المعروفة بالجرجانية اسفل خوارزم ليس في ذلك
السقع اكبر من هذه البحيرة ويقال انه ليس في الارض بحيرة
اكبر منها الا بحر طبرستان وهي بحيرة شهيرة في نحو ذلك من الارض تجري فيه

السفن الي هذه البحيرة وعليها مدينة للترك يقال لها المدينة
الحديثة فيها مسلمون والاغلب من الترك ولما يجاوز
نهر الهند فصيدا وهو من جبال في اقاصي الهند مما يلي بلاد
الصين من نحو بلاد الغز من الترك ومقدار جريانه الى ان يصب
في البحر الحبشي مما يلي ساحل البحر الهند اربعمائة فرسخ قال
واما الفرات من بلاد قالي قلا من ثغور ارمينية من جبال
هناك تدعى ابو حسن على نحو يوم قالي قلا ومقدار جريانه في ارض
الروم الى ان ياتي بلاد ملطية ويكون مقدار جريانه على وجه
الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك وكان الفرات الاكبر
من مائه ينتهي الى بلاد الحيرة ونهر نرس الى هذا الوقت ومن يعرف
بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهي وقعة القادسية
تصب في البحر الحبشي وكان البحر يومئذ في الموضع المعروف بالنجف
في هذا الوقت وكان يقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى
ملوك الحيرة وقد ذكر جماعة ان خالد بن الوليد النجدي لما اقبل
يريد الحيرة في سلطان ابي بكر من بعد فتح اليمامة وقتل كذاب
بني حنيفة ورآوه اهل الحيرة فتحصنوا منه في القصر الابيض وقصر
القادسية وقصر بني نفيل وهذه الاسماء لقصور كانت بالحيرة وهي
الان خراب لا انس فيها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما
نظر خالد بن الوليد الى اهل الحيرة وقد تحصنوا منه امر العسكر فنزل
نحو النجف واقبل خالد على فرسه ومعه ضرار بن الازور الاسدي وكان
من

من فوارس العرب فوقفا تحيال قصر بني نفيلة فجعل العباد يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك
الله ليستطلع مكيدة اعظم مما ترى فمضى خالد فنزل في معسكره
وبعث اليهم ان يرسلوا له رجلا من عقلائهم وذوي اسنانهم
يسأله عن امرهم فبعثوا اليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن نفيلة الغساني وهو الذي بنى القصر الابيض فاتى خالد وله
يومئذ ثلاثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشي فنظر اليه خالد مقبلا
فقال من اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من صلب ابي قال فمن اين
جيء قال من بطن امي قال فعلام انت وعلى قال على الارض
قال فيم انت لا كنت قال في ثيابي قال انك لعاقل قال اي
والله واقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال اللهم
اخزهم من اهل بلدة فما تريد ونا الاعمى اسأله عن الشيء فيجيب عن
غيره قال لا والله لا اجيبك الا عما سألتني قال اعرب انتم ام
نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال احرب
انتم ام سلم قال بل سلم قال فما لهذه الحصون قال بنيناها
للسفيه نحبسه حتى يأتي الحليم فينهاه قال كم اتى لك قال
خمسون وثلاثمائة سنة قال فما ادركت سفن البحر ترقى الينا
في هذا اللخ يا شعة السند والهند وامواج البحر تضرب

ما تحت قدميك وانظر كم بينها البوم وبين البحر وترابت
المراة تاخذ مكتلها تضعه على راسها لا تزود الا عيفا
واحدا فلا تزال في قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة واشجار
مثمرة وانهار جاريه وانهار غرقه حتى ترد الشام وتراها
اليوم قد اصبحت خرابا بابا وذلك ضع الله تعالى في البلاد
والعباد فوجم خالد ومن حضره لما سمعوا منه وعرفوه وكان
مشهورا في العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل قال ومعه
سم ساعة يغلبه في يده فقال له خالد ما لهذا معد قال ثم ساعة
قال وما تضع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرني ويوافق اهل
بلدي قبلته وحملت الله تعالى عليه وان تكن الاخرى فالكل اول من
ساق الى اهل بلده حزنا وبلاء اكل هذا العمر واستريح من الدنيا فانما
بقي من عمري الا اليسير قال له خالد هاته فاخذ فوضعه في
راحته ثم قال بسم الله وبالله بسم الله رب الارض والسماء بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء ثم اقتحمه فتخللته
غشيه وضرب بذقنه في صدره ساعة ثم سري عنه وافاق
كانما نشط من عقال فانصرف العبادي الى قومه وكان عباد
المذهب وهم السطوريه من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم
من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه واخرجوه
عنكم فامتثلوا امره وصالحوا خالدا رضي الله عنه على مائة الف
درهم وساح وهو الطيلسان فرحل عنهم قال المسعودي واما
ذكرنا

ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلنا من ثقل البحار وتغلغل الحر
والبرد على مرور الدهور والاعصار قال واما الدجلة فانها تخرج
من بلاد الدم من ديار بكر وهي اعني بلاد خالد بن الوليد رضي الله عنه
الها انهار سويط وسابيد وما تخرج من بلاد اردن وما فارقني
ومنيرد وغيرها من الانهار واذا خرجت الدجلة من نهر واسط تفرقت
على وجه الارض ثلثمائة فرسخ وقيل اربعمائة هذا كلام المسعودي
وقد التبس على الامر فقسر نهر سيحون سيحان وجيحون جيحان وقد
اوضح ذلك النووي في شرح مسلم فقال قوله صلى الله عليه وسلم
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة اعلم ان سيحان
وجيحان نهر سيحون وجيحون واما سيحان وجيحان المذكوران
في هذا الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما من بلاد الارمن فسيحان
نهر المصيصة وسيحان نهر اذنة وهما نهران عظيمان جدا اكبر هما
جيحان فهذا هو الصواب في وضعهما واما قول الجوهري في صحاحه
نهر سيحان نهر بالشام فغلط او انه اراد المجاز من حيث انه ببلاد
الارمن وهي مجاورة الشام قال الجاربردي سيحان نهر عند المصيصة
قال وهو غير سيحون وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان
نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس واتفقوا كلهم على ان جيحون
بالواو نهر ورد بخراسان عند بلخ واتفقوا انه غير جيحان وكذلك
سيحون غير سيحان واما قول القاضي عياض ان النيل بمصر والفرات
بالعراق وسيحان وجيحان ببلاد خراسان
فهي كلامه انكار من اوجه احدها قوله الفرات بالعراق وليست

الألوكة
www.alukah.net

سيحان
العراق بل هي فاصلة بين الشام والجزيرة والثاني قوله كذلك
وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الاسماء مترادفة وليس
بل سيحان غير سيحون وجيحان غير جيحون باتفاق الناس الثالث
قوله انه ببلاد خراسان واما سيحان وجيحان فببلاد الارمن بقرب
الشام والله اعلم فصل في الفرق بين البحر والنهر قال الازهري
في التهذيب سمي البحر بحرا لاستبحاره وبلوغه اساطه وسعته وقيل
لانه يشق في الارض شقا وجعل ذلك الشق لماية قرار وقال
في الصحاح سمي بحرا لعمقه واتساعه ويقال استبحر في العلم
وتبحر في المال اذا كثر ماله والبحر الشق في كلام العرب ومنه قيل
للناقة التي كانوا يشقون اذنها بحيرة قال الزجاج كل نهر
ذي ماء فهو نهر وبحر قال بعضهم بشرط ان يكون جاريا كدجلة
والفرات والنيل وشبهها من الانهار الكبار فهو بحر واما البحر
الكبير الذي هو منبع المياه فلا يكون ماوه الا ملحا اجاجا ولا يكون
ماوه الا راكدا واما الانهار فماوها جار ويقال للبحر الصغير
بحيرة واما بحيرة طبريه فانه عظيم نحو عشرة لميال في ستة
ويقع البحر على الرجل الكثير المعروف وفرس بحر جواد كثير العدو
على التشبيه بالبحر والبحر الريف وبه فسر ابو علي ظهر الفساد
في البر والبحر الان الذي هو الما لا يظهر فيه صلاح ولا فساد
واما البحر المسجور الموقد لانه يروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها
نارا فترد في جهنم قال الله تعالى واذا البحار سجرت واما نهر

الحيوان

الحيوان فهو نهر في السما الرابعة روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور في السما الدنيا وفي السما
الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم عند طلوع الشمس فاذا
خرج انتفض انتفاضه خرت منه سبعون الف قطرة خلق الله عز وجل من
كل قطرة ملكا يومرون ان ياتوا البيت المعمور يصلون فيه فيفعلون ثم لا
يعودون اليه ابدا ذكره الواحدي في تفسيره فايدة المياه التي
تنزل من السما ثلاثة ما الثلج وما المطر وما البرد والثلج غير
للجمد فاعلمه فانه يلتبس على كثير من الناس ولا يفرقون بين الثلج والجمد
والفرق بينهما ان الجمد يكون ما مستقرا بالارض ثم يجمد من شدة البرد
واما الثلج فهو ندا وة تنزل من السما وتجمد على ما يقع عليه من الارض
وقد ذكر القاضي مسئلة يفارق الثلج فيها حكم الجمد فقال اذا اخذ
قطعة جمد فوجد فيها بعرة من داخلها نظر ان يكون الما الذي جمد
وفيه هذه البعرة قلتين او اكثر وقلنا لا يجب التباعد عن النجاسة
بقدر قلتين فان كانت البعرة تلقى وما حولها فالبا في طاهر طهور
وان كان الما الذي جمد وفيه البعرة دون قلتين فجمع الجمد نجس قال
وان وجدت البعرة بقطعة ثلج الثبت وما حولها فالبا في طاهر
ووجه ما قاله في الثلج ان الثلج اذا نزل على البعرة جمد عليها وجمده
يمنع سريان نجاستها الى غير المجاور لها كالقارورة تموت في السمن الجامد
فرع يخرج على هذا الاصل الما الذي يعقد جوهره ملحا والما
الذي يعقد نظرونا الصحيح انه طهور يجوز الطهارة به قبل انعقاده
اذ الاديب بما طهور فعلى هذا الوجه هذا الماء الذي

انعقد منه بعرة ففيه التفصيل السابق في الحمد فانه قلنا انه
لا طهور فجميعه نجس لانه له حكم المائع والمائع لو امتد قللا
ووقعت فيه نجاسة تنجس كله فصل واما الماء الذي ينبع من
الارض فهو ستة ماء الابار وماء الانهار وماء العيون وماء البحر
والماء الذي ينعقد ملحا والماء الذي ينعقد نطرونا والماء المتقاطر
من بخار الماء وماء الابار منها ماء موحد بدي ومنها ماء هو
نجاسي يتكلم عليها الاطباء فحاصله ان المياه النازلة من السما
والنابعة من الارض عشرة وكلها يجوز بها الطهارة بلا خلاف
الا الماء الذي ينعقد ملحا او نطرونا فانه في الخلاف والمذهب
جواز الطهارة به والماء المتقاطر من بخار الماء فانه فيه وجهان
الاصح جواز الطهارة به واذا انضم الى هذا الماء النابع من لصابعه
صلى الله عليه وسلم صارت احد عشر واختلفوا في المياه التي في
الارض هل اصلها من السما ام خلقها الله تعالى من الارض على قولين
احدهما ان الجميع من السما لقوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما
ماء فسلكه ينابيع في الارض والثاني ان الله خلقه في الارض كما
خلق ما السما فيها لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها
ماءها ومرعاها وبعد هنا بمعنى قبل ذلك دحاها اذ كانت
الارض مخلوقة قبل السما وقد اخبر الله تعالى انه اخرج منها
ماءها ومرعاها فتعين ان يكون الماء مخلوقا فيها ومما يدل
على ان الارض مخلوقة قبل السما قوله تعالى قل اينكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب
العالمين

العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام سوا للسايلين ثم قال تعالى ثم استوى
الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها
قالتا اتينا طايعين فقضاهن سبع سموات في يومين وثم للترتيب
وقال بعضهم خلق الله تعالى الارض اولا ثم خلق السما ثم دحى
الارض بعد ان خلق السما وقبل خلق الله تعالى مزيدة خفر الغلظ
السموات والارض ثم نظر اليها نظرة العظمة فاذا عت فصارت
ما فمن ثم ترى الماد ايما يتحرك من تلك الهيبة ثم ان الله تعالى
رفع من البحر بخارا وهو الدخان الذي ذكره في قوله ثم استوى الى
السما وهي دخان فخلق السما من الدخان وخلق الارض من الما والجبال
من موج الما فصل الكراهة في استعمال شئ من المياه عندنا
في الطهارة وغيرها الا في ستة احدها الما المشمس ثانيها وثالثها
الما الشديد الحرارة وشديد البرودة ورابعها ماء يارغود
يكره استعمالها الا بعد برد الناقة لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه
وامر بان تكفا القدور ويطرح العجين الذي عجن منه وديار ثمود
في طريق الشام من مكة قال الله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين
وبالليل خامسها ما قوم لوط روي ان جبريل عليه السلام اذ خل جناحه
تحت مدائنهم فاقتلعها من الارض ورفعها بجناحه الى السما ثم
قلبها بهم فاتبعوا بالحجارة قال الله تعالى فلما جا امرنا جعلنا عاليها
سافلها وامطرنا عليهم حجارة قيل كان مكتوب على كل حجر اسم صاحبه
وكان شخص منهم بالحرم فوقف حجر بين السما والارض حتى خرج من

الحرم فوقع عليه فمات ولما خسف بقراهم بقي موضعها بركة
عظيمة ماؤها منتن وهي باقية الى هذا اليوم في طريق
الشام قال عز وجل وانها لبسبيل مقيم يعني طريق تسلكها
بئر برهوت روي انه صلى الله عليه وسلم قال خير بير في
الارض بير زمزم وشر بير في الارض بير برهوت فيها
ارواح الكفار فاذا كانت هذه شر بير في الارض كره
استعمالها وبالقياس على ديار ثمود ولوط عليهم السلام لان
ارواح الكفار تعذب حيث كانت وانما تعذب للعقاب عليهم
فالتحق بمكان تعذيب ارواحهم مكان تعذيب اجسادهم
وبرملوت بفتح الباء الموحدة والراء المهملة وبالتاء المثناة
فوق في اخره بير بحضرموت وقد ذكرها في الصحاح وذكر
الحديث الا انه لم يعين مكانها واختلفوا في استعمال ماء زمزم
فمذهبنا انه لا يكره استعماله في شئ من الطهارات كسائر المياه
لانه صلى الله عليه وسلم توضأ منه لكن قال ابو الفتوح العجلي
في نكت الوسيط والوجيز الاولى ان لا يتطهر به لحرمته
وكرامته وقد روي عن العباس رضي الله عنه انه قال لا احله
لمغتسل وهو لشارب حل وبل والبل بكسر الباء الموحدة وباللام
الشفاء اي هو حلال وشفاء للشارب بل من مرض اذا اشتفى
وكان ابن عباس رضي الله عنهما اذا شرب ماء زمزم قال

اللهم

اللهم اني اسالك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء
وقال صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له طعام طعم وشفاء
سقم واما استعماله في ازالة النجاسة والاستنجاء فقال في
الكفاية عن الماوردي انه لا يجوز استعماله ولا استعمال
حجارة الحرم في الاستنجاء والصحيح خلاف ذلك وذهب ابو حنيفة
الى انه لا يجوز استعماله في الطهارة مطلقا لنا عموم الادلة
وان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ منه ولانه يودي الى جواز
التيمم مع وجود الماء ولان حرمة ماء زمزم ان كانت لاجل
انه نبع من الحرم فينبغي ان لا يجوز استعمال مياه ابار الحرم وان
كانت حرمته لكونه طعام وشفاء فالماء الذي نبع من اصابع
النبي صلى الله عليه وسلم افضل من ماء زمزم وفيه من الشفاء ما
ليس في ماء زمزم ومع ذلك فقد توضأت به الصحابة رضي الله
تعالى عنهم ولا حجة في قول العباس رضي الله عنه لا احله لانه محمول
على حالة لحتياج الناس الى الشرب بقوله لا احله لمغتسل
اي في حالة الاحتياج الى الشرب لان الغالب التزاحم على الشرب
واختلفوا في الماء الذي يوجد وقت السحر على الزرع فقيل
لا يجوز به الطهارة لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس رابية
في السحر تنفس وقت السحر فهو ليس من جنس المياه بل هو ملحق بالروث
حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية وشهد لهذا القول

الألوكة
www.alukah.net

وعلمت
ان المجوبين ذكروا ان هذا الماء اذا جمع في وقت البحر
منه بيضة قد فرغ ما فيها وضمت بشمعة وغرها ووضعت
في الحمام فاذا احست بالحرارة صعدت الى السما بنفسها
فهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه واما طبعها الانخفاض
ويشهد له ايضا ان هذا ليس بما الملح ولا برد ولا مطر والله
اعلم قال صاحب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به
لانه ماء ولانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة واما بحر
الملح فيجوز منه الطهارة بلا كراهة لقوله صلى الله عليه وسلم
هو الطهور ماؤه الحل ميتته هذا مذهبنا ونقل البغوي
في سورة التكوير عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو انهما
قالا لا تجوز الطهارة بما البحر لانه غطا جهنم وقال ذلك ايضا
الدارمي في الاستذكار عنهما وعن سعيد بن المسيب لا تجوز
الوضوء بما البحر قال وعن قوم انهم قدموا التيمم عليه وخيروا
بينهما وعن قوم انه بتوضأ به عند عدم غيره ومما يدل على
ان البحر غطا جهنم قوله تعالى اغرقوا وادخلوا نارا الآية فدل
هذا على ان الغرق به اقتضى ذلك ادخول النار استعقب
الغرق وقوله صلى الله عليه وسلم ان تحت البحر نارا وان تحت
النار بحرا الحديث وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الحبيب
الامين وعلى اله وصحبه اجمعين تم الكتاب والحمد لله المفضال

شبكة الألوكة
www.alukah.net